المحاضرة : 03 المقدمة الحمريّة

مظاهر التجديد في شعر أبي نواس

تأثّرت اللغة الشعرية لأبي نواس بعاملين أساسيين، الأوّل: البيئة المدنية، حيث طغت على أشعاره اللغة البسيطة، والمفهومة، والخالية من التعقيد كما هي اللغة السائدة آنذاك، والعامل الثاني: السلطة العرفية والفكرية، حيث ظهر ذلك في قصائد المدح، والتي تتماشى مع أعراف الأجداد القدماء، كما يُمكن تصنيف الألفاظ في شعر أبي نواس بناءً على مضمون الشعر إلى؛ قصائد الغزل، والقصائد الحضارية التي تعكس مظاهر الفلسفة، والعلوم، والديانات. دلّت مجموعة من المظاهر على التطور والتغيير اللغوي الذي طرأ على شعر أبي نواس، ومنها ما يأتي:

- استخدام اللغة كوسيلة للتعبير عن ذاته ومعتقداته الداخلية بمعزل عن العالم الخارجي وأفكاره. الحفاظ على اللغة حيّةً؛ إذ يُمكن فهمها باختلاف الأوقات والأماكن. اعتماد لغة ليّنة وسهلة، إذ تميّزت بسلاستها وبساطتها فلا يستصعبها القارئ، وكأنّها حديث يومي يسهل فهمه. ميّزت هذه السمات وغيرها شعر أبي نواس وأسلوبه عن باقي الشعراء، فكانت أشعاره وقصائده دائمة التجدّد والحيوية، ويجدر بالذكر أنّ أسلوبه الخاصّ أثبت في كتابة خمرياته قِدمها وأسبقيتها على غيرها من الخمريات، حيث اعتمد أبو نواس كبقية الشعراء في عصره اللغة الشعبية القريبة للناس في قصائد الغزل، إذ اشتملت على استخدام عدّة ألفاظ منها الأمثال الشعبية التي كانت مُستخدمةً في اللغة العامّية، مثل: "إياك أعني واسمعي يا جارة"، إضافةً إلى استخدامه الألفاظ البسيطة الأصيلة في اللغة، والألفاظ المُعرَّبة كبعض الألفاظ النصرانية والمجوسية، بالإضافة إلى الألفاظ الفارسية الدخيلة، ومثال ذلك لفظ "متخرسن" أي الذي يرتدي الملابس الخراسانية الفارسية.

مظاهر التجديد في بنية القصيدة: رفض أبو نوّاس اتّباع النمط الشعري القديم في أغلب قصائده، والذي كان يبدأ بالوقوف على الديار، ويتبعه النسيب، ووصف الرحلة، ومن ثمّ تنتهي القصيدة بالغرض الشعري منها، ودعا إلى اتّباع نمط شعري جديد تميّز بالوحدة الفنية، حيث تقوم بنية القصيدة في نمط أبي نوّاس على مجموعة من العناصر أهمّها وحدة الموضوع، وتواقع المعاني، وتوازن التشبيه، كما استطاع أبو نواس دوناً عن غيره من شعراء الجاهلية تركيز القصيدة على موضوع واحد وإشباعه دون الخروج عنه إلى نهاية القصيدة. كان للشعراء العباسيين ومنهم أبو نواس شخصيتان مختلفتان فنياً يظهر كلّ منها تِبعاً للموقف؛ إذ تظهر الشخصية الصادقة العفوية التي تجعل الشاعر يتصرّف على سجيّته، وذلك أمام أصدقائه والأشخاص المقرّبين منه، والشخصية المتزنة عند لقاء الملوك والحُكّام في المجالس الرسمية، ويجدر بالذكر أنّ الشاعر أبو نواس تميّز بشعره عن شعراء الجاهلية، ولكنّه لم يُخالفهم أو يبتعد عن أسلوبهم، وإنّما أراد أن يظهر للناس بأسلوب مُتفرّد عن غيره، أيّ بأسلوب أعمق وأكثر واقعية. مظاهر التجديد في الأغراض والموضوعات الشعرية تتعدّد الأغراض الشعرية لأبي نواس وهي في اتجاهين كالآتي:

الاتجاه الأوّل: يضمّ شعر أبي نواس المديح، والرثاء، والطرد، إذ حافظ فيه الشاعر على أنماط الشعر القديم وتقاليده؛ كالمطلع الطللي، وركوب النياق، واستخدام غريب المفردات، وغيرها، مُبتعداً بذلك عن التجديد، ويُمكن تعليل استخدام أبي نوّاس لأسلوب الأعراب الذي طغى على قصائد المدح والطرد إلى مُحاولته إرضاء اللغويين، وإظهار مهاراته اللغوية، إضافةً إلى حرصه على مراعاة مقام الممدوح، حيث كان يمتدح الخلفاء والوجهاء، مثل: هارون الرشيد.

الاتجاه الثاني: يتمثّل في قصائد أبي نوّاس حول الهجاء، والغزل، والخمر، إذ ابتعد فيها تماماً عن أنماط الشعر القديم وأساليبه، وأخذ منحى أكثر حداثةً وتجديداً. تتمثّل مظاهر التجديد في شعر أبي نواس في كلّ غرض من الأغراض الشعرية كما يأتي:

الخمرة: تفرّد أبو نواس عن غيره من الشعراء في قصائد الخمريات، فقد كانت غرضاً مُستقلاً بذاته، إذ استطاع في قصائده ذِكر كافّة الجوانب التي تخصّ الخمر، مع مراعاة القوة في الألفاظ والمعاني، والاستخدام البديع للغة والصور الفنية، ويظهر التجديد في شعر أبي نوس حول الخمر باتجاهين مختلفين، حيث اتّبع في الاتجاه الأول الأسلوب القديم الذي يُحاكي أجداده، أمّا الاتجاه الثاني فاتّبع فيه أسلوبه الخاصّ وثار على النمط القديم، فاستعاض عن التأليف والتغنّي بالأطلال، بأسلوب أكثر واقعية، والذي يعكس بصدق ما كانت عليه بعض مظاهر الحياة في العصر العباسي، فاستخدم لغةً سلسةً بسيطةً تعكس

رفاهيةعصره.